

# الخدام الكنسي الإنجيلي

## الخدم إنسان الله

سمة المؤمن، سواء من رجال الكهنوت أو من الشعب، أنه قد صار إنسان الله يتمتع بثمره الصليب. يرى القديس مار يعقوب السروجي أن كلمة الله المتجسد مات بالجسد وهو على الصليب، فانطلقت نفسه إلى الجحيم حيث ارتبك عدو الخير، رئيس مملكة الظلمة. فقد نزل المخلص الذي حطم أسوار مملكة الموت ومتاريسها، وحمل نفوس الراقدين الذين ماتوا على الرجاء. انطلق بهم كغنائم مقدسة، وقدمها للآب وقد استردوا صورة الله التي خلقهم الله عليها في آدم الأول. هذه الصورة هي لؤلؤة ثمينة يعتر بها الله كمحبٍ للبشر إذ استردوها!

## خادم البشرية كلها

الخدم كمؤمنٍ وعضوٍ في جسد المسيح محب البشر يدرك أنه كرس قلبه وفكره لمحبة الله والناس. الخدم الكنسي، كاهنًا أو من الشعب، بالحب والالتزام بالتدبير والنظام الكنسي، يشاقق أن يرى كل البشرية من آدم إلى يوم مجيء المخلص في يوم الرب العظيم، يتمتعون بالخلاص الأبدي. فإن كان خادمًا ما في أحد فصول التربية الكنسية أو لاجتماع شباب في كنيسة معينة، يشعر بالشوق إلى خدمة كل إنسان. قد يلتقي بإنسان ليس عضوًا في الكنيسة المحلية وربما ليس من جنسيته، يلتزم بالحب أن يخدمه بابتسامته وحنوه والسلوك الحكيم واتساع قلبه له، وطول أناته. إذ يختبر الإنسان عربون السماء يقول مع الرسول بولس: "ليس يوناني ويهودي، ختان وغرلة، بربري سكيثي، عبد حر، بل المسيح الكل في الكل" (كو ٣: ١١).

أذكر على سبيل المثال أن أحد الخدام كان يحضر في اجتماع الشباب بكنيسة مار جرجس بأسبورتج، وإذ كان كثير من المتغربين قادمين من مدن وقرى كثيرة للدراسة بجامعة الإسكندرية كان يهتم أن يرى من هو مستعد للخدمة، فيكون صداقة معه، ثم يطلب منه أن يخدم في كنائس بالإسكندرية أو قرى محيطة بها. كان تعليق أبينا بيشوي لي أنه مسرور بهذا الخادم الذي بحسب تعبير أبينا: "بيشغل أولادنا للخدمة في أي مكان". لم يطلب منه أن يشجع الشبان للخدمة في كنيسة مار جرجس، بل في كرم السيد المسيح أينما وجد.

عندما كان أبونا بيشوي يفتح كنيسة جديدة، يختار خدام من الأتقياء النشيطين ويطلب منهم في حضور الخدام ألا يرى وجوههم في الكنيسة، بل يحضروا العشية والقداسات في الكنيسة الجديدة، وأن يهتموا بخدمة التربية الكنسية، وكان يختم حديثه بقوله: "لم نفتح الكنيسة لكي نغلقها". لم يكن يشغله ازدحام المواظبين في كنيسة مار جرجس بل الرعاية في كل مكان.

عندما أصرّ مدير ديوان البطريركية بالإسكندرية أن يُطلعه على تكاليف الكنيسة حزن لأنها كلفت

١٢٠ ألف جنيهاً. قال لي: ألم يكن من الأفضل أن نبني الكنيسة بعشرين ألفاً، ونبني خمس كنائس أخرى بالمائة ألف جنيهاً؟ لم يكن يشغله معرفة مدى ارتفاع المنارة وعدد القباب ولا زينة المبنى. إنما ما يشغله هو أن يرى إن أمكن كل البشرية في المجد الأبدي!

حقاً ما أروع نصيحة القديس يوحنا الذهبي الفم لكهننته: "أنت أب العالم كله!" وقوله لشعبه إنهم هم الأسقف، ما يفعله طفل مع أصدقائه الأطفال يصعب أن يفعله الأسقف، وما تشهد به سيده خلال سلوكها الروحي وسط النساء، عمل متكامل مع عمل الأسقف الرعوي!

### إنسان مؤمن متميز

الخادم الحكيم يدرك أنه كمؤمن هو أنسان متميز لا يشاكل أهل العالم (رو ١٢: ٢)، خدمته بين الصغار والكبار ترتبط بالسلوك العملي في الرب. يرى في من يخدمهم ومن لا يخدمهم (إن صحّ التعبير) أنهم شركاء الطبيعة الإلهية، يزيّنه روح الله القدوس بقداسة المسيح ووداعته وحنوه وطول أناته وحبه للعطاء الخ. حقاً كثيرون خدموا بصمتهم أكثر من كلماتهم، أعلنوا في صمتٍ أسرار ملكوت الله، وجذبوا قلوب الكثيرين بروح الله كما إلى السماء.

### مدرك لقيمة النفس البشرية

يليق بالخادم - أيًا كان عمره - أن يشعر بنوع من الحب الأبوي نحو مخدميه، فيشتاق أن يرى كل مخدم ناجحاً في كل جوانب حياته (٣ يو ٢). يعمل بكل جهده ومصلياً على الدوام كي يعمل الروح القدس في خدمته لبنين كل إنسان في الرب. هذا البنين دعامة تقديس النفس والجسد والروح.

### الكشف عن اعتزاز الله بكل إنسان

لن يتحقق هذا البنين إيجابياً ما لم يتعرّف الإنسان على رعاية الله لكل إنسان شخصياً. يود الله أن يصير المؤمن بالحق سفيراً له، يسلك كإنسان الله الذي يرحب به السماثيون ويُعجبون به لأنه وهو ترابي ورماد بالصليب صار له حق الشركة معهم.

هذه هي رسالة الخادم أن يبيت في حياة المخدمين حقيقة مركزهم في عيني الله، والإمكانات الجبارة التي يقدمها له الثالوث القدوس. يؤكد الخادم لمخدميه أن حضن الأب مفتوح له، والابن القدوس يعمل فيه كعضوٍ حيّ في جسده، والروح القدس يود أن يجده يومياً حتى يصير بالحق أيقونة المسيح.